سطور OSTOUR

التسلم Received
27-07-2019

التعديل Revised
12-04-2022

القبول Accepted
25-04-2022

الرقم التعريفي: DOI: https://doi.org/10.31430/UIGI5918

مهند مبيضين | Mohannad Mubaidin*

# أحمد بن يحيى البلاذري وكتابه فتوح البلدان

# Ahmad ibn Yahya al-Baladhuri and His Book *Futuh al-Buldan*

تتناول هذه الدراسة المؤرخ أحمد بن يحيى البلاذري وكتاب **فتوح البلدان**، باعتباره من أهم المدوّنات التاريخية العربية التي سجلت رواية "فتوح" المسلمين، وقدّم فيها تجربة فريدة في التدوين التاريخي، بمنهجية واضحة ودقيقة، من حيث المادة التاريخية، وفي استخدامه المصادر التاريخية المنوعة التي جاءت مباشرة من الرواة، أو تلك التي اطّلع عليها من معاصري "الفتوح"، أو ما نقله عن مصادر أخرى. تركز هذه الدراسة على مسار البلاذري وكتاب **فتوح البلدان**، وعلى أهمية إعادة رواية "فتوح" المسلمين، وتُبيّن أهمية المصادر وصيغ النقل والخبر في رواية البلاذري لـ "الفتوح" وطبيعة المادة التاريخية في الكتاب.

**كلمات مفتاحية:** البلاذري، فتوح البلدان، الكتابة التاريخية، علم التاريخ.

This study investigates on the historian Ahmad ibn Yahya al-Baladhuri and his book Futuh al-Buldan, which is considered one of the most important Arab historical resources for the Muslim conquests. In his book, al-Baladhuri provides a unique example of clear and precise historiographical methodology. His work is distinctive in terms of historical content and in utilizing various historical resources that were derived directly from narrators, those who lived the era of the conquests, and from other historical sources. The study examines al-Baladhuri's writings in the light of attempts to rewrite the history of the Muslim conquests. It also illustrates the importance of al-Baladhuri's sources, the narrative format, and the nature of the historical content in Futuh al-Buldan.

**Keywords:** al-Baladhuri, Futuh al-Buldan, Historical Writing, History.

* أستاذ التاريخ العربي الحديث في الجامعة الأردنية. ومدير عام مركز التوثيق الملكي الأردني الهاشمي.

Professor of Arab History at the University of Jordan and General Director of the Documentation Centre at the Royal Hashemite Court.

mohannad974@yahoo.com

## مقدمة

تدور هذه الدراسة على جملة من الأسئلة التي تمسّ التدوين التاريخي في الحضارة الإسلامية، من خلال كتاب محدّد، هو **فتوح البلدان** لأحمد البلاذري (ت. 279هـ/ 892م)، منها: ما السياق الذي وضع فيه البلاذري كتابه هذا؟ وكيف تطوّرت اهتماماته؟ وكيف مارس عملية النقل والتدوين في أخبار "الفتوح"؟ وما طرائق التثبّت من الخبر؟ وما أبرز المواضيع التي عالجها؟

يُعدّ القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد الذي واكبه البلاذري مرحلة مهمة في تشكّل الثقافة العربية الإسلامية بعامة، وفي تطور الكتابة التاريخية بخاصة؛ إذ شهدت تلك المرحلة إسهامات المؤرخين الكبار، من أمثال: خليفة بن خياط (ت. 240هـ/ 854م)، ومحمد بن جرير الطبري (ت. 310هـ/ 922م) وغيرهما[1]. وهو أيضًا عصر المدوّنات الأدبية الكبيرة والجدل الفكري في بغداد والبصرة، الذي أسهم فيه أدباء وشعراء كبار، أمثال أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت. 255هـ/ 869م)، وعبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي (ت. 216هـ/ 831م)، وأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (ت. 286هـ/ 899م)، ومحمد بن سلام الجمحي (ت.232هـ/ 845م) وغيرهم.

عاصر البلاذري في بغداد المؤرخ والبلداني أحمد بن أبي يعقوب بن إسحاق اليعقوبي (ت. 292هـ/ 904م) الذي زامن الطبري وابن خياط وغيرهما من الأدباء والشعراء، وكان لإسهامات هؤلاء المؤرخين دور كبير في التطور الذي طرأ على علم التاريخ عند المسلمين من حيث استقلاله، أو خروجه من دائرة الأخبار السائدة في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، والبدء بكتابة تاريخ عام للأمة، أو إبراز إسهامات الأمم الأخرى، كما الحال مع اليعقوبي الذي يُعدّ أول من فصّل في أخبار الأمم الأخرى وثقافتها وإنجازاتها[2]، مع تميزه في كتابة تاريخ الأنبياء على نحوٍ موضوعي[3].

كان من الطبيعي، حينما توجّه الأخباريون الأوائل إلى الاستقلال عن علم الحديث، أن يطوّروا مناهجهم ونظرتهم وأسلوبهم وطبيعة اهتماماتهم؛ إذ إنّ توسع حدود دولة المسلمين، ودخول أقوام جدد، وتغيّر الأحداث المستمر، وتنامي حركة "الفتوح"، عوامل أنتجت تنوعًا في المواضيع التي تزامنت مع ظهور مؤسسات دولة المسلمين واستقرارها. لكن افتراق علم الأخبار عن علم الحديث[4]، لم يكن يعني انقطاع العلاقة بين أهل الحديث والتاريخ؛ إذ بقيت متصلة قرونًا عدة، وكان بعض المؤرخين منضبطًا في دقته وأسلوبه المتماسك، متأثرًا بتراثه السابق ومسارهم الشخصي وعلاقتهم بالسلطة وبلاطها، وانتمائهم إلى فئة الكتّاب، ومن بينهم البلاذري، حيث كانت الرواية التاريخية مطلوبة من جميع مراتب المجتمع ومن الساسة والحكام والإداريين والمثقفين وأتباع المِلَل والنِحل والخطباء والفقهاء[5].

تلك الظروف والاهتمامات المنوّعة للأخباريين، والمؤرخين المسلمين، دفعتهم إلى أن يضعوا مجموعة من المصنفات الأدبية والتاريخية والجغرافية، التي حملت التاريخ معها بقصد أحيانًا، أو من دون قصد أحيانًا أخرى. وفي هذا السياق، يأتي الحديث عن كتب

1 عن هذه المرحلة، ينظر: عبد العزيز الدوري، **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، ط 2 (بيروت: دار المشرق، 1993)، ص 47-60؛ طريف الخالدي، **فكرة التاريخ عند العرب من الكتابة إلى المقدمة** (بيروت: دار النهار 1997)، ص 97-100.

2 عن اليعقوبي، ينظر: الخالدي، ص 167.

3 ينظر: رضوان سليم، **نظام الزمان العربي: دراسة في التاريخية العربية الإسلامية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006) ص 84.

4 يرى عبد العزيز الدوري أن هذا الافتراق بدأ يظهر مع محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، "حيث يدمج روايات عدة في خبر متسلسل، وبذلك حقق خطوة مهمة نحو الكتابة التاريخية المستقلة". الدوري، ص 24. وينظر في موضوعات الكتابة التاريخية عند العرب:
Bernard Lewis & P. M. Holt, *Historians of the Middle East* (Oxford: Oxford University Press, 1962).

5 عن علاقة المؤرخين بالبلاط، ينظر: جيسي روبنسون، **البلاط والمجتمع الإسلامي وعلم التاريخ: دراسة في سسيولوجيا الكتابة التأريخية عند المسلمين**، تعريب وتقديم وتعليق عبد الجبار ناجي (بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، 2014)، ص 324.

الفتوح[6] التي جاءت لتؤكد محورية الحدث أو الواقعة من حيث هي جزء من سيرة بناء مجتمع الأمة وتشكّله، وأخذ هذا الحدث صفة "فتوح" المسلمين، نظرًا إلى أهميتها في تكوين ميراث دولة المسلمين، بما هي عليه من مخزون واسع لقضايا كثيرة، لعلّ أبرزها صورة "الفتوح"، إن كانت صلحًا أو عُنوة، أو ما ترتب عليها من أشكال في المعاملات وأنماط الاستقرار وفرضٍ للضرائب وغيرها.

لم يكن البلاذري أول من التفت إلى هذه المسألة، وهي إعادة بناء رواية "الفتوح"، بل سبقه في هذا المجال عدد من العلماء المسلمين الذين صنّفوا في هذا الباب، من أمثال أبي مخنف لوط بن يحيى (ت. 157هـ/ 773م)، وسيف بن عمر الأسدي (ت. 200هـ/ 815م)، وأبي حذيفة إسحاق بن بشر (ت. 206هـ/ 821م)[7] ومحمد بن عمر الواقدي (ت. 207هـ/ 822م)[8] ومحمد بن عبد الله الأزدي البصري (نحو 110-170هـ/ 728-787م)، وأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت. 257هـ/ 870م)[9]. وهذا يعني، أنّ ثمة مادة وتراثًا في مسألة "الفتوح" وأزمانها، بدأت بكتابة "الفتوح"، منطلقة من حروب الردة التي اعتبرت من أوليات "الفتوح"[10]، وهذا ما سيوفّر للبلاذري حصيلة معرفية ومادة مرجعية، استطاع من خلالها أن ينسج مادته بصورة تكاد تكون أكثر دقة، أو أنها جاءت نتاج تطور مسار طويل في هذا النوع من السرديات التأريخية الذي شهد على يديه صورة أكثر اكتمالًا؛ ما جعله يُمثّل نموذجًا لهذا الفن. فإذا كان قد اتّبع منهجًا مماثلًا لمن سبقه في تسلسل أخبار "الفتوح" وروايتها بحسب الجهات، على موضوع واحد لكل جهة، فإنه حاول التميز من سابقيه، في الجمع أحيانًا بين تبويب الموضوعات على أساس تاريخي كرونولوجي، أو تدوينها على أساس موضوعي أحيانًا أخرى. فيقدم الحديث عن "فتوح" مدن بسبب أسبقيتها التاريخية، من قبيل حديثه عن "فتح" مكة والطائف وأيلة وغيرها، ونجده في مقابل ذلك يتحدث عن مدن، من قبيل بغداد والكوفة، مقدّمًا لها كما فعل مع مدن أخرى شهدت عمليات عسكرية، من قبيل البصرة والأهواز[11].

## أولًا: البلاذري: حياته ونشأته

لا تقطع الروايات التاريخية بما يحسم ولادة أحمد بن يحيى البلاذري الذي يبدو أنه وُلد في بغداد، في أواخر القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، دونما إيضاح إن كان من أصل عربي أو من غيره، وهو أمر لم يجزم في شأنه المؤرخون وكتّاب التراجم والفهارس، فظلّ محلّ اجتهاد[12]، كما لا يخفيه كتّاب ومؤرخون معاصرون مثل كارل هاينريش بيكر الذي يقرّ بعدم حسمه[13].

---

6 عن الكتابة في "**الفتوح**"، ينظر بتوسع:
Jens Scheiner, "Writing The History Of The Futūh: The Futūh - Works By Al - Azdì,Ibn ATham, And Al - Wāqidī," in: Baul Gobb (ed.), *The Lineaments Of Islam: Studies in Honar of Fred McGraw Donner*, vol. 85: *Islamic History and Civilization* (Leiden: BrilL, 2012), pp. 151-176.

7 ينظر بالنسبة إلى المؤلفات الموضوعة في هذا الباب: فرانز روزنثال، **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة صالح أحمد العلي، ط 2 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983)، ص 283-287؛ جرجي زيدان، **تاريخ آداب اللغة العربية**، ج 2 (بيروت: مكتبة الحياة، [د. ت.])، ص 500.

8 محمد بن عمر الواقدي، **فتوح الشام** (بيروت: المكتبة الشعبية، [د. ت.]).

9 ينظر: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق س. س توري نيوهافن (1922) (القاهرة: دار التعاون، نسخة مصورة)؛ الأزدي محمد بن عبد الله البصري، **كتاب فتوح الشام**، تحقيق عبد المنعم عامر (القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1970). ولهذا الكتاب من الشكوك التي تدور حول مؤلفه وتاريخه، ينظر بتوسع في:
Lawrence Conrad, "Al - Azdi's History of the Arab Conquests in Bilad al - Sham: Some Historiographical Observations," in: Muhammad - Adnan Bakhit (ed.), *Proceedings of the Second Symposium on the History of Bilad al-Sham*, vol. I (Amman: University of Jordan, 1987).

10 في ذلك، ينظر: غيداء خزنة كاتبي، **أوليات الفتوح: حروب الردّة في الإسلام** (بيروت: دار المدار الإسلامي، 2009)، ص 10.

11 أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، **فتوح البلدان**، عني بضبطه رضوان محمد رضوان (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، [د. ت.]). ص 18-28.

12 للمزيد ينظر: محمد بن إسحاق بن النديم، **الفهرست** (بيروت: دار المعرفة، 1972)، ص 181؛ محمد جاسم المشهداني، **موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف** (مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، 1986)، ص 45.

13 ينظر:
Carl Heinrich Becker, "*Al-Baladhuri*," in: Martijn Theodoor Houtsma et al. (eds.), *Encyclopedia of Islam* (Leiden// London: E.J. Brill, 1979),

لعلّ نقل البلاذري عن صاحب **معرفة الثقات**، نزيل بغداد، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت. 211هـ/ 826م)[14] الذي يعدّ أقدم من أخذ عنهم من مشافهة، يُقرّب سنة ميلاده، ويُسهم في إمكان تحديدها في النصف الأول من العقد التاسع من القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، وما يُعزّز هذا الاستنتاج هو أن البلاذري مدح الخليفة العباسي المأمون أبا العباس عبد الله بن هارون الرشيد (ت. 219هـ/ 832م)، وقد لا يتقدم البلاذري لمثل تلك المهمة أو الرغبة التي أهّلته للتقرب من الخلفاء لاحقًا، إلّا بعد أن كان قد عبَر العقد الثاني من عمره[15].

نشأ البلاذري في بغداد متتلمذًا على أئمة العلم وشيوخها، وفي مقدمة المستفيدين منهم أستاذه أبو عبيدة القاسم بن سلّام الهروي، صاحب كتاب **الأموال**[16]، كما أخذ العمل عن عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ابن أبي شيبه) (ت. 235هـ/ 849م)، ومصعب الزبيدي (ت. 236هـ/ 850م)، ومحمد بن سعد بن منيع (ت. 230هـ/ 844م)[17]. واكتسب علمًا واسعًا من رحلاته التي قام بها في البلاد التي تناولها في "فتوحه"، فأخذ عن علمائها، مصرّحًا بذلك: "وحدثني جماعة من أهل العلم"[18]، و"حدثني مشايخ أهل الأنبار"[19]، و"حدثني مشايخ واسط"[20]، و"حدثني بعض أهل العلم في البصرة"[21]، و"حدثني عدّة من أهل قزوين"[22]، وغير ذلك مما يدل على تنوّع ثقافته ورحلاته التي منحته مقدرة فذّة في صياغة روايات واثقة، ومحايدة قدر الإمكان، ومتماسكة البنية، عن مسألة "الفتوح".

معنى ذلك، أنّ معارف البلاذري تشكلت من جراء جهده الخاص، بما أخذه عن علماء عصره اللامعين، مع مشاهداته في رحلاته، وبما تيسّر له من معلومات ووثائق بحكم موقعه القريب من السلطة. فكانت ثقافته ومعارفه سببًا في تفوّقه، وفي تتلمذ نخبة من طلاب العلم عليه، ومن أبرزهم: محمد بن إسحاق بن النديم صاحب كتاب **الفهرست**، وقدامة بن جعفر صاحب **كتاب الخراج**، وعبد الله الوراق وعبد الله بن المعتز وغيرهم[23].

اللافت في سيرة البلاذري أنه على الرغم من الصفة العلمية، فإنّ الاهتمام بالعلم والرحلة لم يقصه عن بلوغ البلاط السياسي والاقتراب من الخلفاء. فكان مطلًّا على أحوال عصره بدقة[24]، مع عدم الانحدار في تمجيد السلطة، بما يلغي علميّته؛ فقد أشارت الروايات إلى أنه كان مقرّبًا من بلاط الخليفة جعفر بن محمد بن هارون المتوكل على الله (232-247هـ/ 846-861م)، وكذلك أحمد بن المعتصم بن الرشيد المستعين بالله (249-252هـ/ 863-866م)[25]، حيث روى أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان (ت. 681هـ/ 1282م)، أنه كان من المقرّبين (للمستعين) "وممن نالهم العطاء منه"[26].

---

vol. 1, pp. 971-972.

14 هو أحمد بن صالح العجلي الكوفي الأصل، لقب بالمقرئ، وكان أحد كبار الشيوخ والمقرئين في بغداد، ومن كبار علماء الحديث، وقد أفرد كتابه لمعرفة الثقات من رواة الحديث. أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي أبو الحسن، **معرفة الثقات**، ج 6، تحقيق عبد العظيم عبد العليم، ج 2 (المدينة المنورة: مكتبة الدار، 1985)، ص 38.

15 أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق** ، ج 6 (دمشق: دار الفكر، 1995)، ص 74.

16 للمزيد ينظر: أحمد الشرباصي، "'البلاذري' صاحب كتاب فتوح البلدان"، **مجلة الوعي الإسلامي** (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت)، السنة 4، العدد 43 (رجب 1378هـ - أيلول/ سبتمبر 1968م)، ص 67-68.

17 محمد بن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، ج 1 (بيروت: دار الثقافة، [د. ت.])، ص 155.

18 البلاذري، ص 47.

19 المرجع نفسه، ص 35.

20 المرجع نفسه، ص 288.

21 المرجع نفسه، ص 363.

22 المرجع نفسه، ص 317.

23 ابن عساكر، ج 6، ص 74-75؛ ياقوت الحموي الرومي، **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، ج 2 (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ص 520، 531.

24 ينظر: أحمد محمد الحوفي، **الطبري** (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1963)، ص 63.

25 الكتبي، ج1، ص 155؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر أبو العباس بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، ج 6 (بيروت: دار الثقافة، 1968-1972)، ص 24.

26 ابن خلكان، ج 6، ص 24؛ شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج 1 (بيروت: دار العلم للملايين، 1983)، ص 343.

جاء هذا الاقتراب بين الثقافي، ممثلًا بشخص البلاذري، مع السياسي، ممثلًا بالخلفاء، في وقت كانت العاصمة تبدو المركز الثقافي والحضاري الأهم عربيًا. ولعلّ هذا ما جعله شديد الحماسة لكتابة تاريخ الأمة، وإعادة صياغة بناء سردية "الفتوح"، للتذكير بدولة الأمة في زمن سياسي أُعلنت فيه أكثر من إمارة مستقلة عن الخلافة. وهنا يبدو أن ما كان يصله من عطاء الخلفاء، إن صحت رواية ابن خلكان[27]، قد دفعه إلى تقديم صورة مجتمع المسلمين الموحَّدة على هدف "الفتوح" والبناء.

من هذا الموقع الذي اتّخذه البلاذري لنفسه بوصفه مثقفًا، ناله شيء من عطاء الخليفة الذي تعهّد له بالإبقاء على الرعاية مدى حياة الخليفة. فقد أُتيح له أن يؤلف مجموعة من المؤلفات، كتابة وترجمة عن الفارسية، هي: كتاب **أنساب الأشراف** الذي ساهم باطراد شهرة البلاذري، وكتاب **عهد أردشير**، المترجم عن الفارسية. أما كتاب **فتوح البلدان**، فقد ذُكر بأسماء أخرى منها: "البلدان الصغير" و"البلدان الكبير" و"أمور البلدان"[28]، ويلاحظ على تراث البلاذري التباين في التأليف والتداخل في الاهتمامات.

أما زمن البلاذري الثقافي، فقد كان غنيًّا بالمعارف والتطور في حركة الثقافة والآداب والعقائد والتراجم؛ إذ شهد القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد أوجَ الاحتكاك الثقافي بين العرب المسلمين وجيرانهم، وتمازجت فيه ثقافتهم مع الثقافات الأخرى، ودخل الإسلام شعوب عدة، وظهرت فيه المصنفات الأدبية والفلسفية والعلمية، وساهمت حركة الترجمة من الفارسية واللاتينية إلى العربية في اطلاع العلماء المسلمين على معارف الأمم الأخرى، وذلك كله مع ازدهار حركة النسخ وحرفة الوراقة في بغداد[29].

من الناحية السياسية، اتّسم عصر البلاذري باتساع رقعة دولة المسلمين وتذبذب الاستقرار الداخلي فيها، وظهور الإمارات المستقلة في أرجاء الدولة شرقًا وجنوبًا، مثل: الدولة الطاهرية في خراسان (205-259هـ/ 820-862م)، والدولة اليعفرية في صنعاء (225-393هـ/ 839-1002م)، والدولة الطولونية في مصر (254-292هـ/ 868-905م)، والدولة السامانية في بلاد ما وراء النهر (261-390هـ/ 874-1000م) وغيرها. كما بدأت التحديات الخارجية تواجه دولة الخلافة، التي دعا البلاذري إلى بقائها ودوام سلطانها؛ بوصفها "الدولة المباركة" التي كان يعمل في بلاط خلفائها، ما سمح له بالاطّلاع عن قرب على الحكم، وتحدياته، وعلى المراسلات المتبادلة بين السلطة السياسية وخصومها، وكذلك على العهود والمواثيق التي وقّعتها.

لقد عاش البلاذري الفترة الأكثر تطورًا في مسار الكتابة التاريخية العربية الإسلامية، وهي فترة ظهور المؤرخين الكبار وتقدّم الدولة الإسلامية، ومرحلة تشكّلت فيها المدوّنة التاريخية، وتجلّت فيها الكتابة الأيديولوجية المعبّرة عن الفِرَق والنزاعات السياسية[30]، وما كان له إلّا أن يكون معبّرًا عن رأي السلطة التي عاش في كنفها وحظي بعطائها، وهو المتشرّب خبرة الكتابة من جدّه الذي كان يقوم بوظيفة الكتابة لأحمد الخصيب بن عبد الحميد (ت. 265هـ/ 879م)، أمير مصر وصاحب خراجها في زمن الخليفة هارون الرشيد[31].

---

27 أورد ابن خلكان الرواية التي تتضمن قول الخليفة للبلاذري بعد أن بعث إليه مبلغ سبعة آلاف دينار، ونصّها: "ادّخر هذه للحوادث من بعدي، ولك عليّ الجراية والكافية ما دمت حيًا"، ينظر: ابن خلكان، ج 6، ص 24.

28 عن مؤلفات البلاذري، ينظر: ابن النديم، ص 113-166؛ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف، الجزء الأول**، تحقيق محمد حميد الله (القاهرة: دار المعارف، 1959)؛ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف، الجزء الثالث**، تحقيق محمد باقر المحمودي (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، 1977)؛ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف، الجزء الرابع**، تحقيق عبد العزيز الدوري (بيروت: جمعية المستشرقين الألمان، 1978)؛ أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، **جمل من أنساب الأشراف، الجزء الخامس**، تحقيق إحسان عباس (بيروت: جمعية المستشرقين الألمان 1978-2000)؛ مصطفى، ج 1، ص 243؛ إحسان العمد، "البلاذري، أحمد بن يحيى"، رسالة (غير منشورة) أعدت لنيل الماجستير، جامعة الكويت، 1978، ص 182.

29 ابن النديم، ص 397-399.

30 Heather N. Keaney, *Medieval Islamic Historiography: Remembering Rebellion* (New York: Routledge, 2013), p. 47.

31 شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **سيَر أعلام النبلاء**، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ج 13، ط 11 (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996)، ص 163.

في مصائر البلاذري الشخصية مسألة حريّة بالتوقف عندها، وهي مصير المؤرخ القريب من البلاط، وكان فيه كاتبًا في الديوان ومترجمًا، نال حظوة الخلفاء وعطاءهم منذ مدح المأمون واتصل به، وفي زمن المتوكل صار من خاصّته وندمائه ومقرّبًا إليه، ثمّ علا شأنه في زمن الخليفة المستعين بالله (ت. 252هـ/ 866م) الذي زاد في مكافأته وعهد إليه بتربية ابنه عبد الله بن المعتز بالله (ت. 255هـ/ 869م). وقد بلغ من عطاء المستعين بالله له أنه جعله يعيش مستغنيًا، ينفق من سعة، ولا يطلب من أحد، ولا يعمل بحرفة، وكان ذلك بسبب أن البلاذري دخل مع الشعراء عليه، وطلب المستعين أن يمدحه الشعراء بمثل ما مدح الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري (ت. 280هـ/ 898م)، الخليفة المتوكل بقوله:

ولو أن مشتاقًا تكلّف فوق ما في وسعه لمشى إليك المنبرُ[32]

قال البلاذري: فرجعت إلى داري وأتيته وقلت: قد قلت فيك أحسن مما قاله البحتري: قال: هاته، فأنشدته:

ولو أن بُرد المصطفى إذ حويته يظن، لظنّ البُردُ أنّك صاحبه

وقال وقد أُعطيتَه ولبسته نعم هذه أعطافه ومناكبُه[33]

أُعجب المستعين بما قاله البلاذري، وقال له: "ارجع إلى دارك وافعل ما آمرك به، فرجعت، فبعث إلي بسبعة آلاف دينار، وقال: ادّخر هذه للحوادث من بعدي، ولك عليّ الجراية والكفاية ما دمت حيًا"[34].

في الرواية التي نقلها ابن خلكان، عن لسان ميمون بن هارون، ما يشير إلى خصوصية علاقة البلاذري بالمستعين، وفيها أيضًا توقّع الخليفة المستعين بمصير صعب أو ضيق عيش قد يتعرّض له البلاذري من بعده، بقوله: "ادّخر هذه للحوادث". فالحوادث هنا سوف تأتي لاحقًا، بصيغة كرب وعوز، فتصدق رؤية المستعين، ويغيب نجم البلاذري، ويفتقر ويقل ماله، وهذا ما جعله يهجو الوزراء لحبسهم العطاء عنه. ومع ذلك، فإن كتابته التاريخ لا تبدو أنها تأثرت بذلك التحوّل في حياته؛ من مقرّب من السلطة ومحفوف برعايتها، إلى "صفر اليدين"[35] ومبعَد من الساسة، بل مَقصّي عنهم، ويقضي حياته في البيمارستان بعد أن "أصابه الهوس"[36].

بنهاية البلاذري، في البيمارستان بعد أن أصابه الوسواس، تنتهي قصة مؤرخ خدم الدولة والسلطة العباسية خلال عهد أربعة خلفاء. وهي نهاية لا شك في أنها مدعاة للتدبّر في مصائر المؤرخين، وفي علاقاتهم بالسلطة، التي لم تختلف كثيرًا عن نهايات بعض الكتّاب والمثقفين الذين واجهوا مصائر صعبة مع الحكام، راوحت بين القتل والتعذيب أو القتل أو حجب المال والعطاء، ومن ذلك ما حدث للبلاذري.

## ثانيًا: "فتوح البلدان"

قيل الكثير عن كتاب **فتوح البلدان**، وذُكر بأسماء أخرى، كما أشرنا سابقًا، فثمة من رأى ذلك لأن البلاذري اختصره من كتاب **البلدان الكبير**، وثمة من رأى أنّ هناك نسختين منه، استنادًا إلى النقول التي أخذها من جاء بعده، من أمثال ابن النديم وعلي بن الحسن المسعودي (ت. 345هـ/ 956م) وبديع الزمان الهمذاني وياقوت الحموي وغيرهم.

32 الوليد بن عبيد البحتري، **ديوان البحتري**، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ج 2، ط 2 (القاهرة: دار المعارف، 1963)، ج 2، ص 1073.

33 أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، تحقيق عبد العزيز الميمني، ج 2 (بيروت: دار الكتب العلمية، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب العلمية، 1935)، ص 58.

34 ابن خلكان، ج 6، ص 24؛ محمود مصطفى، **إعجام الأعلام** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983)، ص 80.

35 الحموي، ج 2، ص 531.

36 ابن النديم، ص 143.

خلصت الجهود العلمية، التي بُذلت في مسألة عقد المقارنات بين نصوص البلاذري ومن خَلَفه من المؤرخين، إلى أنّ بعض الروايات التي نُقلت من **الفتوح**، ووردت ضمنيًّا في المصادر اللاحقة لـ**فتوح البلدان**، تختلف عن تلك الموجودة في النسخة المنشورة والمحققة، وأنّها ناقصة ومختصرة، وربما اختُصرت بسبب كِبر حجم النسخة الأولى التي أُطلق عليها **البلدان الكبير**[37]، ولعلّ هذا ما عناه ابن النديم بقوله إنّ البلاذري "صنّف كتابين" حملا عنوان البلدان، الأول صغير والآخر كبير[38].

تبدأ "فتوح" البلاذري بهجرة الرسول (ص)[39]، وما ترتب عليها من أمور، مثل قضية أموال بني النضير وأموال بني قريضة. وبعد ذلك، يبدأ البلاذري برواية خبر غزوة خيبر، ثم "فتح" مكة، لينطلق بعدها بتناول بقية مغازي الرسول، ومن ثمّ "الفتوحات"[40].

بذلك، مهّدت مقدمة البلاذري الحديث عن "فتح" خيبر الذي يُعدّ من أهم "فتوح" الحجاز قبل مكة. وفي الواقع، ثمة خيط ما بين "فتح" مكة وخيبر، حيث أسفر الأخير عن إخراج القبائل اليهودية من الحجاز وسقوط مواقعها الباقية من دون كبير جهد، ما دفع المسلمين إلى تحقيق "فتحهم" الأول الذي توقف البلاذري عنده كثيرًا، حيث أورد تفاصيل "الفتح" المكي بكل حيثياته[41].

وفي حين نجد البلاذري يقتضب في أخبار فتوح بلاد المغرب، فإنه يعود إلى الاستفاضة عندما يكون الحدث شرقًا؛ إذ يتابع أخبار "الفتوح" في أرض السواد[42]، بالدقة والموسوعية الشاملة التي ظهرت بها "فتوح" الشام، فيتحدث عن "فتح" العراق ومعارك خالد بن الوليد[43]، ثم يُفصّل أخبار أيام المعارك قبل يوم مهران والقادسية[44]، وبعد ذلك يعالج "فتح" المدائن[45].

بذلك، فإن "فتوح" البلاذري تصدر عن مغازي الرسول وكأنها إتمام لها، وهو يدوّن "فتوح" شتى المناطق مع الاعتناء عناية خاصة بطريقة توكيد هذه "الفتوح"، أي صُلحًا أو عنوةً[46]، وهو يقدم مادة شاملة، يتتبع فيها أخبار كلّ "فتح" من خلال مصادر متعددة، إما كتبًا[47]، أو روايات سمعها شفاهًا من أهل البقاع التي رحل إليها[48]، ونصَّ هو بنفسه على سماعها منهم[49]، أو ما وصل إليه من روايات متناقلة أو مرسلة نقلها عمن سبقه[50].

يقول عبد العزيز الدوري في وصف الكتاب: "أما فتوح البلدان، فيبحث تاريخ الفتوحات الإسلامية، ويقدم قصة متسلسلة لـ 'فتح' كل مِصر"[51]. أما طريف الخالدي، فيرى في **فتوح البلدان** فرادة تعود إلى أسس عدة؛ فهو بداية لا يقتصر على منطقة واحدة، بل يعالج سائر "الفتوحات"، شرقيها وغربيها، وهو ثانيًا يستخدم طيفًا واسعًا من المصادر الشفاهية والمكتوبة والمخطوطة، وهو ثالثًا يعنى بالشؤون

37 كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، تحقيق عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، ج 3، ط 5 (القاهرة: دار المعارف، 1977)، ص 44؛ المشهداني، ج 1، ص 64.
38 ابن النديم، ص 180-181.
39 البلاذري، **فتوح**، ص 17-31.
40 المرجع نفسه، ص 31، 34، 42، 49.
41 المرجع نفسه، ص 59، 60، 65-66.
42 المرجع نفسه، ص 242.
43 المرجع نفسه، ص 243-244، 251.
44 المرجع نفسه، ص 253، 255.
45 المرجع نفسه، ص 262.
46 المرجع نفسه، ص 265، 321، 337.
47 المرجع نفسه، ص 169، "ووجدت في كتاب مغازي معاوية...".
48 المرجع نفسه، ص 71، 93، 163، 168، 247، 317-318، 383.
49 المرجع نفسه، ص 288، 293، 317، 364.
50 المرجع نفسه، ص 70، 96، 104، 175.
51 الدوري، ص 49.

الإدارية والاقتصادية، وأخيرًا يتتبع تسلسلًا زمنيًا تغلب عليه الدقة[52]. ونضيف إلى ذلك اهتمام البلاذري بتزويد "فتوحه" بوثائق للصلح الذي جرى في كل منطقة، بقدر ما يتيسر له ذلك من خلال اطّلاعه على الوثائق والكتب[53].

كان هذا التفرد الذي حظيت به "فتوح" البلاذري دافعًا إلى اعتراف عالِم من القرن الرابع للهجرة، ليقول في حقها وكتابها: "لا يُعلم في فتوح البلدان أحسن منه"[54]. كان الكتاب يُعبّر عن مرحلة مهمة في تاريخ المسلمين، حيث مال المؤرخون في ما يبدو إلى تحديد موضوعاتهم وتخصيصها، بعد عبورهم مرحلة التكوين في الكتابة التاريخية وتشكيل فكرتهم تجاه التاريخ[55].

هنا يطرح السؤال: لماذا ولج البلاذري إلى التأليف في "الفتوح" وإشكالاتها؟ وما الدافع إلى ذلك؟ وهل استطاع أن يطوّر هذا الاتجاه الذي توافر له من تراثه مجموعة من المؤلفات؟ في تقديرنا أنّ البلاذري بدا طموحًا في اختياره موضوع "الفتوح"، محققًا في هذا السبيل خطوتين مهمتين: الأولى منهجية، وهي تطوير هذا النوع من التأريخ الذي كان متمحورًا حول شخصية النبي، ومتدرجًا من السيرة إلى السرايا، فالمغازي، لتُضفي القضية أو المهمة في أمر "الفتوح" بعد ذلك على الشخوص؛ إذ إنّ البلاذري كان يرفض في كتابه ترسيم الشخوص في الحوادث ولصقها بهم، من دون إغفال دورهم، وربما قصد بذلك التخلّص من الهالة الأولى التي كانت للأوائل ممن قادوا الأعمال العسكرية أو شاركوا فيها.

أما النقطة الثانية، فموضوعية، تتعلق باختيار المؤلف قضية محورية في تكوين أمة المسلمين، وربما قصد من ذلك تأكيد أن "الفتوح" لا تختزن تجربة السلاح وحمله و"فتح" البلاد فحسب، بقدر ما تشكل مخزونًا لتراث الأمة بما تحمله من تراتيب إدارية وعسكرية ومالية وغيرها[56]، وبما تمدّنا به من معلومات عن النظم الاجتماعية السائدة في البلاد "المفتوحة"[57]، وما نتج من "الفتح" من تمصير وتطور في عوالم العمران في كل مِصرٍ[58].

لكثافة ما في **فتوح البلدان** من معلومات، خرج الكتاب عن موضوعه، بما يتميز به مؤلفه من ثقافة كتّاب الدولة أو البلاط، إن جاز استخدام المصطلح، حينما نذر البلاذري لـ "فتوحه" خمسة أقسام تبدو مستقلة؛ حيث يتناول مسألة الخراج وأحكامها[59]، ثم موضوع العطاء إبان خلافة عمر بن الخطاب وما يتعلق به من الغنائم[60]، ثم يعطي تاريخًا وجيزًا لأمر كل من أمر الخاتم[61]، فالنقود[62]، وأخيرًا الخط[63]، وهو الأمر الذي يكاد يُخرج الكتاب، لو توسع البلاذري في هذه القضايا، عن موضوع "الفتوح" ويتجاوزها، بحسب رأي ديفيد صمويل مارغليوث[64]. ونحسب هنا أنّ البلاذري لم يقصد إخراج **فتوح البلدان** عن غايته، فهو مدرك أن "الفتوح" ليست مجرد عمليات حربية وعسكرية، وهذا ما يدعو إلى دراسة مادة الكتاب واهتمامات البلاذري.

---

52 الخالدي، ص 102.

53 البلاذري، **فتوح**، ص 70-71، 88-89، 90، 102.

54 علي بن الحسن المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق شارل بلّا، ج 1 (بيروت: دار المعرفة، 1979)، 24.

55 في ذلك، ينظر: الدوري، ص 59، حيث يعتبر الدوري القرون الثلاثة الأولى مثل فترة التكوين في رسم موضوعات الكتابة التاريخية عند العرب.

56 البلاذري، **فتوح**، ص 241، 247، 259، 267، 274، 290، 296، 341.

57 المرجع نفسه، ص 159، 248، 358-359، 368.

58 المرجع نفسه، ص 175، 320، 341، 370.

59 المرجع نفسه، ص 433.

60 المرجع نفسه، ص 435.

61 المرجع نفسه، ص 447.

62 المرجع نفسه، ص 451.

63 المرجع نفسه، ص 456.

64 د. س. مارغليوث، **دراسات عن المؤرخين العرب**، ترجمة حسين نصار (بيروت: دار الثقافة، [د. ت.])، ص 133.

## ثالثًا: اهتمامات البلاذري في "الفتوح"

إن كان البلاذري مؤرخًا لفتوح المسلمين، في كتابه الذي نتناوله بالدراسة، فإنه لم يقصره على أعمال "الفتح" فحسب؛ إذ استهلّ "فتوحه" بمقدمة عامة عن هجرة الرسول إلى المدينة، والمسجد الذي بناه المسلمون الأوائل، والمواد المستخدمة في البناء من "اللّبن والجريد"، والمال الذي أخذه أصحاب الأرض[65]، ودوره في عصر التكوين، وتطوّر بنائه إلى معاصريه من خلفاء بني العباس[66]. وتضمّنت المقدمة أحكامًا في بعض المسائل[67]، وما يرتبط بإقطاع الصحابة أراضي في الحجاز، ثم انتقل إلى سوق المدينة ورفع الخراج عنها، متوقفًا عند تكوينها السكاني[68]، وأنهى مقدمته بحديث عن هجرة الأزد من اليمن. ولم تتنِه هذه الاهتمامات التوثيقية عن العناية بالإداريات والتنظيمات التي أحدثها المسلمون. وهذه المعلومات كلها مهمة.

هنا، ينبغي القول إن لثقافة البلاذري أثرًا في توصّله إلى الموضوعات التي تناول أحداثها وتحرّاها بدقة. من ثمّ، كانت مصادره تتنوع بتنوع الأحداث؛ فهو، على سبيل المثال، يعتمد في المسائل الزراعية والخراجية على كبار الفقهاء[69]، وبعض الأخباريين من الثقات[70]، كما أنه لا يتساهل في السند الذي يتقدم رواياته على الرغم من تشعّبها.

مما يلاحظ في هذا السياق عدم توقّفه عند القضايا العسكرية فحسب، شأنه في ذلك شأن غيره من مؤرخي "الفتوح"، فقد أخرج البلاذري أحيانًا الأحداث عن سياقها التاريخي، إلى ملاحقة التفاصيل، مثل حديثه عن "أمر هلال بن عبد الله بن خطاب"[71]، كما أسهب في الحديث عن مسألة فقهية، مثل اكتراء بيوت مكة[72]، وتوسيع مسجدها في عهد عمر بن الخطاب، وزيادته في عصر عثمان[73]، ثم نجده يستطرد في كسوة الكعبة، ويتابع آبار مكة ويُرسّمها في مواقعها[74]، ولم يغفل عن السيول التي كانت تجتاح المدينة في بعض الأعوام[75]، ولم ينسَ دار الندوة في مكة وأهميتها الحضارية[76]، ويبدو معنيًا بإيراد وثائق الصلح، ولا سيما مع أهل نجران واليمن وعُمان والبحرين[77]، ولم يكتف بإيراد العهود فحسب، بل نجده، في مثال صلح عُمان، يدقق في أصول أهلها، فيقول: "كان الأغلبين على عُمان الأزدُ وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي"[78]، في حين وصف البحرين بأنها "مملكة الفرس، وكان بها خلق كثير من العرب"[79].

---

65 البلاذري، **فتوح**، ص 13.
66 يكتب البلاذري عن توسعة حتى الخليفة المتوكل (247هـ/ 861م). ينظر: المرجع نفسه، ص 24.
67 المرجع نفسه، ص 22. ومن ذلك قوله: "وحدثني [...] أن الرسول حرم من الشجر ما بين أُحد إلى عَيرٍ"، ص 24.
68 المرجع نفسه، ص 29.
69 من أمثال هؤلاء: يحيى بن آدم القرشي والقاسم بن سلام. ينظر: المرجع نفسه، ص 23، 26.
70 من هؤلاء الواقدي والمدائني. ينظر: المرجع نفسه، ص 21، 24، 71، 249.
71 من ذلك حديثه عن هلال بن عبد الله بن خطاب الأردمي. ينظر: المرجع نفسه، ص 53-54.
72 المرجع نفسه، ص 56.
73 المرجع نفسه، ص 57-58.
74 المرجع نفسه، ص 64.
75 المرجع نفسه، ص 65-66.
76 المرجع نفسه، ص 64.
77 المرجع نفسه، ص 75، 96.
78 المرجع نفسه، ص 87.
79 المرجع نفسه، ص 89.

بعد أن عرض البلاذري حركة الردة[80]، انتقل إلى "فتوح" الشام، ويُلاحظ فيها قلة استرساله كما هي حاله في أخبار الحجاز؛ إذ أورد فيها أخبارًا عن أهل البلاد عشية "الفتح"[81]، فنتعرف إلى أحوال سكان بلادها وحركتهم الدائمة نتيجة التطورات السياسية والعسكرية قبيل "الفتح". وأكمل البلاذري موضوع "فتوح" الشام، في تواصل مع ذكر أمر الجراجمة؛ ما يؤكد الانسجام في المكان والزمان، حيث ارتباط هذا الأمر بالعلاقات الأموية البيزنطية، فنجده يتتبع الجند بدقة، ويأخذ أخباره عنها من مصادر رسمية، بقوله: "وحدثني بعض من أثق به من الكتّاب"[82]، وأخذ أيضًا من الواقدي (ت. 207هـ/ 822م)[83]، ومن رواة أهل المنطقة[84].

توسّع البلاذري أيضًا في الحديث عن غور الشام، فذكر رواياتها العديدة، على عكس ما يشهده القارئ من اقتضاب في حديثه عن "فتح" مصر وبلاد المغرب، فهو يمر سريعًا على "فتح" الأندلس، معرّجًا على تطورات المغرب في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت.101هـ/ 720م)، ويزيد الاختصار في "فتح" طرابلس وإفريقية[85].

أمّا تمصير الكوفة، فهو حدث مهم، يبدأ البلاذري بمعالجته منذ إطلاق الاسم على الكوفة[86]، إلى بناء مسجدها[87]، والزيادة عليه[88]، وهو متوسع في ذكر حيثيات "الفتح" وتمصير المدينة، وكذا الحال مع البصرة[89] وبغداد[90]، وقد نجده مهتمًا بذكر أسباب نقل الديوان من اللغة الفارسية إلى العربية[91].

في سياق الكتابة عن "فتوح" المشرق، تُعدّ الرواية التي صاغها البلاذري، ونقلها من مصادر متعددة عن "فتح" قزوين وأذربيجان، ذات أهمية خاصة، بما تحمله من ذكر للتفاصيل العامة[92]، لكنه يعود إلى الاقتضاب في الحديث عن "فتح" الموصل وشهرزور[93]، بينما يزداد اعتناءً في الحديث عن خراسان، وقد أورد فصلًا من وثائق صلحها[94]، وأسماء من وُلِّي نواحيها من المسلمين[95]، وعلاقاتهم بتلك النواحي وحملاتهم العسكرية وغيرها من الأحداث التي تغطّي حدود المكان وتجتازه[96]. واتّبع الأسلوب نفسه حينما شرع في رواية أخبار "فتوح" السند، فبدأ بها منذ عصر الخلفاء الراشدين[97]، ومن بعدهم عصر الأمويين[98]، وأخيرًا الدولة المباركة في عصره[99]، وهو يعكس موقفه العام منها، فهو مؤيد لها وداعم لشرعيتها.

80 المرجع نفسه، ص 136 و163، حيث يتحدث عن يهود السامرة وأقسامهم.
81 المرجع نفسه، ص 103، 162.
82 المرجع نفسه، ص 166.
83 المرجع نفسه، ص 167.
84 المرجع نفسه، ص 163.
85 المرجع نفسه، ص 227. المقصود بإفريقية هنا تونس التي يقول إنها عند الفتح لم يكن لها لا القيروان ولا مصر، أي مدينة بعينها.
86 المرجع نفسه، ص 275.
87 المرجع نفسه.
88 المرجع نفسه، ص 276.
89 المرجع نفسه، ص 224، 370.
90 المرجع نفسه، ص 293.
91 المرجع نفسه، ص 298.
92 المرجع نفسه، ص 319-320.
93 المرجع نفسه، ص 230.
94 المرجع نفسه، ص 396.
95 المرجع نفسه، ص 399، 407.
96 المرجع نفسه، ص 418-419.
97 المرجع نفسه، ص 420.
98 المرجع نفسه، ص 421.
99 المرجع نفسه، ص 432. يستخدم البلاذري لفظ الدولة المباركة قاصدًا به الدولة العباسية. ينظر: المرجع نفسه، ص 7.

خلال هذا المشهد العام، أحاط صاحب "الفتوح" بأحوال تلك البلاد التي قدّم رواياتها المتعددة، فعرض لتكويناتها الاجتماعية[100] وبعض الأخبار والروايات ذات الخصوصية الشديدة بالأماكن والبلاد[101].

إلى جانب عنايته بالأخبار العسكرية، عُني على نحوٍ وثيق بالشؤون الاقتصادية والإدارية، كالعمال المحليين الأوائل، والخراج والجزية وضرب النقود، ما جعله مصدرًا لدراسة التنظيمات التي اتخذها المسلمون في البلاد التي حكموها، كالحديث عن إقطاع الأرض للصحابة في أيام عمر بن الخطاب[102]، وأموال بني النضير[103].

أنهى البلاذري فتوحه بذكر العطاء في خلافة عمر[104]، و"أمر الخاتم"[105]، وأمر النقود التي توسّع في الحديث عنها، من حيث أصلها وتطوّر ضربها وأنواعها، قائلًا: "كانت الدراهم من ضرب الأعاجم مختلفة كبارًا وصغارًا، فكانوا يضربون منها مثقالًا"[106]، و"ضرب عبد الملك شيئًا من الدنانير سنة 72، ثم ضربها سنة 75"[107]، و"حدّثني محمد بن سعد عن الواقدي [...] أن عبد الملك بن مروان أول من ضرب الذهب والورق"[108].

## رابعًا: في المنهج

يقول الدوري: "وطريقته [البلاذري] في الكتابة هي أن ينتقي المادة بعد الغربلة والنقد، وأن يعطي صورة مقترنة للحوادث مع تجنّب إيراد روايات متعددة حول الحادث، وهو يعتمد كثيرًا على روايات المدينة التي تتصف بالحياد والدقة أكثر من غيرها، كما أنه استفاد بالدرجة الأولى من الروايات المحليّة"[109]. أما الغربلة أو الترجيح في الخبر، فهذا يرد عند البلاذري في صيغ عدة، ومن ذلك قوله في إحدى روايات غزو أرمينيا، بعد إيراد بعض الروايات، "وذلك ثبت"[110]، أو بخبر أورد روايته، وبعد ذلك يُلغى برواية أخرى ويحكم عليها ابتداء، بقوله: "الخبر الأول أثبت"[111]. ولا يفوته أن يُرجّح الخبر المقبول لديه، وهذا ما يستبان في حديثه في أمر "فتوح" الجزيرة في عام 18هـ/ 639م، وموت خالد بن الوليد، بقوله: "أثبت ما سمعنا"، ثم ينهي الرواية بالقول: "وبعضهم يزعم أنه مات بالمدينة وموته بحمص أثبت"[112]، وإذا ما جزم أمر رواية لحدث ما، فإنه يصوغ رأيه بقوله: "والثابت أن أبا موسى وُلّي البصرة سنة ست عشرة"[113].

يحدثُ الاقتضاب والتوكيد في الحكم على الروايات بعد أن يورد مجموعة منها، ويتميّز البلاذري بدقته وحسّه التاريخي، وبخاصة وهو يصوغ رواية "الفتح" التي ينطوي عليها تضمينات شرعية مهمة، تسند إسنادًا جادًّا ومفصّلًا ومبيّنًا، ولعلّ الغرض من ذلك هو تكوين رواية من أوثق المراجع، تكون دقّتها عونًا على تنظيم القضايا الشرعية و"الإدارية"، وبخاصة تلك التي ترتبط بالعطاء.

---

100 المرجع نفسه، ص 423.
101 المرجع نفسه، ص 324.
102 يقول البلاذري: "خرج عمر يُقطع الناس، وخرج معه الزبير، فجعل يُقطع الناس حتى مر بالعقيق". المرجع نفسه، ص 21.
103 المرجع نفسه، ص 28.
104 المرجع نفسه، ص 629.
105 المرجع نفسه، ص 646-650.
106 المرجع نفسه، ص 651.
107 المرجع نفسه، ص 656.
108 المرجع نفسه، ص 657.
109 المرجع نفسه، ص 490.
110 المرجع نفسه، ص 200.
111 المرجع نفسه، ص 201. ينظر أيضًا: فتوح السواد، ص 345.
112 المرجع نفسه، ص 117.
113 المرجع نفسه، ص 341.

أوضح البلاذري منهجه منذ البداية وأبانه بقوله: "أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث والسير وفتوح البلدان، سُقت حديثهم واقتصرته، ورددت من بعضه على بعض"[114]، وهو بذلك يهتدي إلى أسلوب جديد، عبّر عنه بطريقة غير مباشرة، وهو المقابلة بين الأخبار، ويلاحظ أنه، من دون قصد، يُلمح إلى أنّ تطابق الروايات قد لا يكون سبب إجماع على صحتها، بقدر ما يؤدي التنوع في مواردها إلى حقيقة أوثق وخبر أدق؛ لذا كان يحرص على إسناد الرواية بتسلسل دقيق، ويتتبع تسلسلًا زمنيًا يصلك بأقرب زمن للرواية، ولا يتوانى في استخدام الشعر على نحوٍ يظهر فيه مُقِلًّا وملتزمًا من أجل إكمال رسم الصورة للخبر بعامة[115].

## خامسًا: في المصادر

بداية، ينصُّ البلاذري في مقدمة كتابه على مجموعة منوعة من المصادر المتباينة التي نقل عنها بالقول: "أخبرني جماعة من أهل العلم بالحديث والسيرة وفتوح البلدان سُقت حديثهم"[116]. وهي هنا مصادر شفوية في بعض الأحيان، عبّر عنها بقوله: "حدثني"، "وقال لي"، أو غيرها من الصيغ المختلفة، وهذه أخبار يكون متأكدًا منها، وثمة أخرى حصل عليها عن طريق المراسلة[117]. وفي مثل هذا النوع وغيره من المصادر، لم يأخذ البلاذري دونما نقد، وقد أشار إلى عدم تأكده من صحة الخبر بقوله: "والله أعلم"[118]. ونصّ في المقدمة على أنه اعتمد الاختصار، وردّ بعض الروايات إلى بعضها الآخر، بقوله: "واختصرت ورددت بعضه على بعض"[119].

إنّ تنوع مادة "**الفتوح**" ومصادره جعله يظهر سجلًا لتلك الحركات الكبرى التي قام بها العرب تحت لواء الإسلام؛ فـ**فتوح** البلاذري تميز بشموليته الواسعة، وهذا نجده في تقصّي الجند بدقة وموضوعية، وإلقاء الضوء على التفاصيل العملياتية كتحديد المواقع وأسماء القادة وذكر عهود الصلح، فضلًا عن تحديد التواريخ وقضايا الخراج والعمران، وما إلى ذلك من مسائل، تجعل من ذلك الكتاب "لا يعلم أحسن منه في الفتوح"، على حد تعبير المسعودي[120].

يتميز تركيب المادة التاريخية للكتاب بأن مؤلفه كشف فيه عن طريقة مؤرخ له منهجيته وأسلوبه واهتماماته وطرائقه الخاصة به، ويبدو حرصه على الإسناد واضحًا، مستخدمًا عبارة: "قالوا" في مطلع النص قبل تقصّيه الخبر، بإحالة كل رواية إلى مصدرها، وكثيرًا ما يستخدم الإسناد الجمعي ليدل على الاتفاق في الروايات البسيطة[121].

أما أشهر مصادره التي نقل عنها من أصحاب المؤلفات، فمنهم: الواقدي[122] وعلي بن محمد بن عبد الله المدائني[123]، وبدرجة أقل محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (ت. 124هـ/ 741م)[124]، وغيرهم، وهو مطّلع، بحكم موقعه في البلاط وعلى مقربة من مركز القرار، على بعض الكتب والمواثيق الخاصة، كقوله في صلح نجران: "فلما استخلف الرشيد هارون أمير المؤمنين وشخص إلى الكوفة

114 المرجع نفسه، ص 15.
115 المرجع نفسه، ص 25، 29، 34، 61-63، 65، 105، 108-109، 185، 251، 253، 261، 318، 349، 390، 416، 428.
116 المرجع نفسه، ص 8.
117 المرجع نفسه، ص 193، 201.
118 المرجع نفسه، ص 97، 167، 183.
119 المرجع نفسه، ص 9.
120 المسعودي، ج 1، ص 24؛ Becker, vol. 2, p. 612.
121 الدوري، ص 50.
122 البلاذري، **فتوح**، ص 21، 28، 41، 60، 68، 71، 74، 95، 102، 177، 179-180، 189-190، 193-194، 243، 247، 322، 345، 438-439.
123 المرجع نفسه، ص 21، 24، 26، 60، 249، 276، 279، 298، 308، 319، 322-323، 331-332، 337، 348، 350، 356، 358، 360، 366-367، 375، 377، 450.
124 المرجع نفسه، ص 27، 31، 68، 70.

يريد الحج، وفَدوا إليه وشكوا تعنتهم، فأمر، فكتب لهم كتاب بالمائتي حلة قد رأيته"[125]. كما يظهر أنه استقى معلوماته من فئة كان قريبًا منها، وهو مجتمع كتّاب الدولة، وهو ما يرد في إشارته الآتية بقوله: "وحدثني من أثق به من الكتّاب"[126].

أخيرًا، لعل اللافت في مصادر البلاذري اعتماده الملحوظ على أهالي كل منطقة مفتوحة لاستقاء المعلومات المتعلقة بها، وقد ظهر ذلك في أثناء حديثه عن "فتح" مصر وأنطاكية ومنبج والأنبار وغيرها من البلدان، حيث تتعدد صياغته فيها ونصّه بحسب مصادر معلوماته منها، كما يُبيّن الجدول.

**جدول يعرض صيغ البلاذري المختلفة بحسب الموضوع**

| الموضوع | الصيغة المستخدمة | الصفحة |
|---|---|---|
| تبوك وأيلة وأذرح | وأخبرني بعض أهل مصر | 79 |
| أمر الجراجمة | حدثني مشايخ من أهل أنطاكية | 163 |
| الثغور الشامية | حدثني مشايخ من أهل أنطاكية وغيرهم | 168 |
| ملطية | وحدثني بعض أهل منبج | 195 |
| فتوح أرمينيا | وحدثني جماعة من أهل برذعة | 206 |
| فتوح السواد | وحدثني مشايخ أهل الأنبار | 247 |
| ذكر تمصير الكوفة | وحدثني شيخ من الكوفيين | 277 |
| | وحدثني شيخ من أهل الحيرة | 284 |
| أمر واسط العراق | وحدثني شيخ من أهل واسط عن أشياخ منهم | 288 |
| أمر مدينة السلام | وحدثني مشايخ من أهل بغداد | 293 |
| | وحدثني بعض المشايخ | 296 |
| | وأخبرني بعض الكريزين | 269 |
| فتح قزوين | حدثني عدة من أهل قزوين | 317، 318 |
| فتح الموصل | قالوا [...] وأخبرني المعافي بن طاوس | 327 |
| | وحدث عن بعض أهل بابغيش | 328 |
| | وحدثني مشايخ من أهل تكريت | 328 |
| تمصير البصرة | وحدثني بعض أهل العلم بصياغ البصرة | 364 |
| | وحدثني عدة من البصريين منهم | 364 |
| | وحدثني جماعة من أهل العلم | 303، 351، 381 |
| سجستان وكابل | وأخبرني بعض أهل فارس | 383 |
| أمر الأساورة والزط | حدثني جماعة من أهل العلم | 366 |
| فتوح مصر والمغرب | قالوا، ويقال، وقال بعض الرواة | 214، 421، 323، 426 |
| خراسان | ويقال | 294، 296 |

المصدر: من إعداد الباحث.

125 المرجع نفسه، ص 79، 169.

126 المرجع نفسه، ص 66.

يدلّ تفحص صيغ البلاذري الخبرية السابقة المبنية عن شكل مادته التي أخذها من الأمصار والبلاد التي رحل إليها، على حسّ مؤرخٍ واعٍ لما يصل إليه؛ فدقّته تتجاوز رواية الخبر بالطريقة التي وصل إليه الخبر بها مباشرة، إلى تتبعه وتقصّي مصدر ما سمع، كقوله: "وحدثني شيخ من أهل واسط عن أشياخ منهم"[127]. ولم يكتف أيضًا بأخذ الخبر عن المدينة التي يقصد تدوين أخبار "فتوحها"، بل كان يستقي أخبارًا من ضياع المدن وأريافها[128].

كما يبدو من الجدول، فإن صيَغ الخبر والنقل الأكثر رواجًا عند البلاذري هي: حدثني، حدثنا، قالوا، أخبرنا وأخبرني، وسمعت، وقال فلان، ويقال، وحدثني أهل العلم ... إلخ، بما يوضح تأثير مدرسة الحديث في البلاذري الذي مارس الإجمال في الروايات، والرواية الواحدة المؤكدة، عن الحدث الواحد، متخلّصًا من الأسانيد التي ما كان ممكنًا إعادتها بعد مرور سنوات طويلة على أمر "الفتوح".

## خاتمة

أظهر النظر في **فتوح** البلاذري ملامح متعددة، عكست أسلوب كاتب الدولة (الديوان) المتابِع أمور الأمصار، والمدقق في التفاصيل، كما نلمس فيه روح الأديب المستشهد بالشعر تارة، واهتمامات الفقيه المسهب في نقل الروايات وأحكام بعض أمور الخراج والحرب تارة أخرى، ولهذا أسبابه وأحكامه المترتبة عليه، التي تعكس ثقافة واسعة عند البلاذري.

في مجمل أخبار **الفتوح**، أراد البلاذري التدليل على أهميتها بصفتها جزءًا من حالة التشكل والتكوين التاريخي لتجربة الأمة، كما أنه تصدى لموضوع واسع ومتشعب؛ ما يُصعّب جدًا تناوله بصورة متوازنة، وخصوصًا لمن كان في موقع البلاذري، بانصرافه إلى أمور تأخذ جزءًا كبيرًا من وقت الكتابة عنده، خلافًا للطبري مثلًا الذي زهد في المناصب ووجد في وقته رحابة. وإضافة إلى ذلك، فإن لكتاب **الفتوح** فرادة في اختيار موضوعه، فنجد البلاذري محيطًا بالتفاصيل التي جاءت منظمة؛ ما جعله متفوّقًا على أسلافه في هذا المجال، وجعل معاصريه أو أسلافه يلجؤون إلى الكتابة عن "فتح" مِصرٍ مُحددٍ في اهتماماتهم، فانصرفوا في مدى إقليمي ضيق عند كتابتهم التاريخية.

127 المرجع نفسه، ص 288.

128 المرجع نفسه، ص 364.

# المراجع References

## العربية

ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر أبو العباس. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، 1968-1972.

ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله. **فتوح مصر وأخبارها**. تحقيق س. س توري نيوهافن. القاهرة: دار التعاون، نسخة مصورة.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن. **تاريخ مدينة دمشق**. دمشق: دار الفكر، 1995.

البحتري، الوليد بن عبيد. **ديوان البحتري**. تحقيق حسن كامل الصيرفي. ط 2. القاهرة: دار المعارف، 1963.

بروكلمان، كارل. **تاريخ الأدب العربي**. تحقيق عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب. ط 5. القاهرة: دار المعارف، 1977.

البصري، الأزدي محمد بن عبد الله. **كتاب فتوح الشام**. تحقيق عبد المنعم عامر. القاهرة: مؤسسة سجل العرب، 1970.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز. **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**. تحقيق عبد العزيز الميمني. بيروت: دار الكتب العلمية، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب العلمية 1935.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر. **فتوح البلدان**. عني بضبطه رضوان محمد رضوان. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، [د.ت.].

_____. **جمل من أنساب الأشراف. الجزء الأول**. تحقيق محمد حميد الله. القاهرة: دار المعارف، 1959.

_____. **جمل من أنساب الأشراف. الجزء الثالث**. تحقيق محمد باقر المحمودي. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، 1977.

_____. **جمل من أنساب الأشراف. الجزء الرابع**. تحقيق عبد العزيز الدوري. بيروت: جمعية المستشرقين الألمان، 1978.

_____. **جمل من أنساب الأشراف. الجزء الخامس**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: جمعية المستشرقين الألمان 1978-2000.

الحوفي، أحمد محمد. **الطبري**. القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1963.

الخالدي، طريف. **فكرة التاريخ عند العرب من الكتابة إلى المقدمة**. بيروت: دار النهار، 1997.

الدوري، عبد العزيز. **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**. ط 2. بيروت: دار المشرق، 1993.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. **سير أعلام النبلاء**. تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط. ط 11. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1996.

روبنسون، جيسي. **البلاط والمجتمع الإسلامي وعلم التاريخ: دراسة في سسيولوجيا الكتابة التأريخية عند المسلمين**. تعريب وتقديم وتعليق عبد الجبار ناجي. بيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، 2014.

روزنثال، فرانز. **علم التاريخ عند المسلمين**. ترجمة صالح أحمد العلي. ط 2. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1983.

الرومي، ياقوت الحموي. **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993.

زيدان، جرجي. **تاريخ آداب اللغة العربية**. بيروت: مكتبة الحياة، [د. ت.].

سليم، رضوان. **نظام الزمان العربي: دراسة في التاريخية العربية الإسلامية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.

الشرباصي، أحمد. "'البلاذري' صاحب كتاب فتوح البلدان". **مجلة الوعي الإسلامي** (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت). السنة 4، العدد 43 (رجب 1378هـ - أيلول/ سبتمبر 1968م).

العجلي، أحمد بن عبد الله بن صالح أبو الحسن. **معرفة الثقات**. تحقيق عبد العظيم عبد العليم. المدينة المنورة: مكتبة الدار، 1985.

العمد، إحسان. "البلاذري، أحمد بن يحيى". رسالة (غير منشورة) أعدت لنيل الماجستير. جامعة الكويت. 1978.

ابن النديم، محمد بن إسحاق. **الفهرست**. بيروت: دار المعرفة، 1972.

كاتبي، غيداء خزنة. **أوليات الفتوح: حروب الردّة في الإسلام**. بيروت: دار المدار الإسلامي، 2009.

الكتبي، محمد بن شاكر. **فوات الوفيات والذيل عليها**. تحقيق إحسان عباس. بيروت: دار الثقافة، [د.ت.].

مارغليوث، د. س. **دراسات عن المؤرخين العرب**. ترجمة حسين نصار. بيروت: دار الثقافة، [د. ت.].

المسعودي. علي بن الحسن. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تحقيق شارل بلّا. بيروت: دار المعرفة، 1979.

المشهداني، محمد جاسم. **موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في أنساب الأشراف**. مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، 1986.

مصطفى، شاكر. **التاريخ العربي والمؤرخون**. بيروت: دار العلم للملايين، 1983.

مصطفى، محمود. **إعجام الأعلام**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1983.

الواقدي، محمد بن عمر. **فتوح الشام**. بيروت: المكتبة الشعبية، [د. ت.].

## الأجنبية

Bakhit, Muhammad - Adnan (ed.). *Proceedings of the Second Symposium on the History of Bilad al-Sham*. Amman: University of Jordan, 1987.

Gobb, Baul (ed.). *The Lineaments Of Islam: Studies in Honar of Fred McGraw Donner*. vol. 85: *Islamic History and Civilization*. Leiden: Bril, 2012.

Houtsma, Martijn Theodoor et al. (eds.). *Encyclopedia of Islam*. Leiden/ London: E.J. Brill, 1979.

Keaney, Heather N. *Medieval Islamic Historiography: Remembering Rebellion*. New York: Routledge, 2013.

Lewis, Bernard & P. M. Holt. *Historians of the Middle East*. Oxford: Oxford University Press, 1962.